الجابِيَة

(جابِيةُ الجَوْلان - جابِيةُ المُلوك)

التّسميَة – والمَوقِع – والتّاريخ - والأدب

أ. د. محمد شفيق البيطار*

مَن ذا الّذي يَعرِفُ (دِمَشْقَ) ولا يَعرِفُ (بابَ الْجابِيَة) أحدَ أبوابِها السّبعةِ القديمة؟ أو لا يَعْرِفُ (سُوقَ بابِ الْجابية) إحدى أسواقها المشهورة؟

حينَ بُنِيَ سُورُ دمشق جُعِلَت فيهِ أبوابٌ سبعةٌ، وأُضيفَت إليها أبوبٌ أُخرى على مَرِّ العُصور، وكان أحدُ الأبواب السّبعة الأُولى (باب الجابية)؛ وقد رُمِزَ بِكُلِّ بابٍ إلى واحدٍ من كواكب المجموعة الشّمسيّة السّبعة المعروفة عند القدماء، فكان باب الجابية للمرّيخ.

ولكنّ تلك الأبواب لَم تُسَمَّ بأسماء الكواكب، بل بإضافتها إلى الجِهة الّتي هي فيها أو إلى المواضع أو البلدان الّتي تُفضي إليها، فسُمّيَ أحدُها مثلاً (البابَ الشّرقيّ) لأنّه واقعٌ شرقيّ دمشق، وسُمّي آخَرُ (بابَ الفراديس) لأنّ الخارج منه يُفضي إلى

* رئيس تحرير مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية.

الفراديس، وهي البساتين، وسُمّيَ ثالثٌ (بابَ الجابية) وهو في غربيّ السّور لأنّه يُوصِلُ الخارجَ منه إلى مكانٍ في الجَولان يُسَمَّى (الجابية). (انظر: تاريخ دمشق2/407-409).

وفيما يأتي حديثٌ عن ذلك المكانِ الّذي يُسَمّى في المصادر العربيّة بـــ(الجابية) حيناً، وبـــ(جابية الجَولان) حيناً آخَر، وبـــ(جابية الملوك) حيناً ثالثاً؛ ويتناول الحديثُ ما يتعلّق بتسميته، وموقعه، وتاريخه وبعض ما جرى فيه من الحوادث، وبعض ما ورد ذِكرُه فيه من أشعار العرب؛ وممّا يؤسَفُ له أنّ (الموسوعة العربيّة) الّتي أصدرتها هيئة الموسوعة العربيّة بدمشقَ خَلَت من الحديث عن هذا المكان المهمّ في تاريخ أمّتنا، وعسى أن تستدركَ ذلكَ في قابل الأيّام.

·التّسمية:

الظّاهر من لفظِ (الجابية) أنّه ذو أصلٍ عربيٍّ على وزن (الفاعلة)، وبالرّجوع إلى بعض المعجمات يتبيّن أصلُ اشتقاقِ هذا الاسم؛ قال الجوهريّ: " **الجَبا، بالفتحِ مَقصور: نَثِيلةُ البئر، وهي تُرابُها الّذي حَوْلَها تَراهُ مِن بعيد.....**

والجِبَى، بالكسرِ مَقصور: الماءُ المجموع في الحَوْضِ للإبِل ..... قال الكِسائيُّ: جَبَيْتُ الماءَ في الحوض، وجَبَوْتُه، أَي: جمَعْتُه. والجابِيَةُ: الحَوْضُ الّذي يُجبَى فيه الماءُ للإبِل؛ قال الاعشى: (كجابِيَةِ الشَّيْخِ العِراقيِّ تَفْهَقُ)، والجمعُ الجَوابي، ومنه قولُه تعالى: {وَجِفَانٍ كَالْجَوابِي}.

والجَابِيَةُ: مَدِينةٌ بالشّأْمِ.

وجَبَيْتُ الخَراجَ جِبايةً، وجَبَوْتُهُ جِباوَةً ..." (**الصّحاح: جبا**).

وقال المطرّزيّ: " **جَبى الخراجَ: جَمعه، جِبايَةً؛ ..... وباسمِ (الفاعلة) منه سُمّيت جابِية الجَوْلان إحدى كُورِ دمشق**" (المغرب في ترتيب المعرب: جبي).

وقال ابن منظور: " **جَبَى الخراجَ والماءَ والحَوْضَ، يَجْبَاهُ ويَجْبِيه:**

جَمَعَه..... وجَبَيْتُ الخَراجَ جِبَاية وجَبَوْته جِبَاوَة..... والجابي: الّذي يجمعُ الماءَ للإبل، والجَبَاوَة: اسم الماء المجموع..... والجِبْوة والجُبْوة والجِبا والجَبا والجِباوة: ما جمعتَ في الحوض من الماء..... قال شَمِرٌ: جَبَيْت الماءَ في الحَوْضِ أَجْبي جَبْياً، وجَبَوْت أَجْبُو جَبْواً وجِباية وجِباوةً: أي جمعته،..... والجابِيَة: الحوضُ الّذي يُجْبَى فيه الماءُ للإبل، والجابِيَة: الحَوْضُ الضَّخْم؛ قال الأَعشى:

تَــرُوحُ علــى آلِ المُحَلَّــقِ جَفْنَــةٌ كجَابِيَــة الــشَّيْخِ العِراقــيِّ تَفْهَــقُ

..... ويُروَى (كجابيةِ السَّيْحِ) وهو الماءُ الجاري؛ والجمع الجَوابي، ومنهُ قولُه تعالى {وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِي}.

والجَبَايا: الرَّكَايا الّتي تُحْفَرُ وتُنْصَبُ فيها قُضبانُ الكَرْمِ.....

وقولُه: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ} قالَ الزَّجَّاجُ: معناهُ وكذلك يَختارُك ويَصطَفِيكَ، وهو مُشتَقٌّ من جَبَيْتُ الشَّيْءَ إذا خَلَّصْتَهُ لنفسك، ومنه: جَبَيْت الماءَ في الحوضِ، قال الأَزهريُّ: وجِباية الخَراجِ جَمْعُه وتَحصيلُهُ مأْخوذٌ من هذا.....

والجابِيَة: جماعةُ القومِ؛ قال حُمَيْدُ بنُ ثَوْرٍ الهِلاليّ:

أَنْــتُمْ بجابِيَــةِ المُلُــوكِ وأَهْلُنَــا بــالْجَوِّ جِيرَتُنَــا صُــدَاءُ وحِمْيَــرُ

والجابي: الجَراد الّذي يَجْبي كلَّ شيءٍ يأْكُلُه.

والجابِيَةُ: مدينةٌ بالشّام، وبابُ الجابِيَة: بدمشق..... " (لسان العرب: جبي).

وفي أثناء البحث والتنقيب عن مادّة (الجابية) في الشّابكة (الإنترنت) وجدتُ موقع (http://www.esyria.sy/edaraa/index) ينقل عن الباحث تيسير خلَف قَولَه عن (الجابية): " **وَرَدَ اسمُها في وثيقةِ رُؤساءِ الأديرةِ العرَبِ باسم (جَابِيثَا)، أي (المُختارَة)، وهُوَ مصدرٌ يَختلفُ عنِ التَّفسيرِ الّذي اعتمدَه اللُّغَويُّون والجُغرافيُّونَ العَرَبُ الَّذينَ أَرْجَعُوا الاسمَ إلى جِبايةِ الماءِ أَو مَوْرِدِ الماءِ**"، وأظنّ أنّ السيّد تيسير خلف ضمّن قولَه هذا في كتابه (كنيسة العرب المنسيّة)، ولديّ نسخةٌ منه، ولكنّ يدي لا تصلُ إليه اليوم لبُعدي عن مكتبتي، وهذا القولُ وهمٌ لا يصِحُّ، فإنّ ما ذهب إليه

اللُّغويّون والجغرافيُّون العرب متّفقٌ أتمَّ الاتفاق في أصله اللغويّ مع معنى (جابيثا) الاسم القديم لها فيما يسمّى باللّغة الآراميّة، والدّليلُ ما سبق من قَولِ الزَّجَّاج في تفسير قول الله تعالى: {**وكَذَلكَ يَجتَبيكَ رَبُّكَ**}:" **معناهُ: وكذلكَ يَختارُكَ ويَصطَفيك، وهو مُشتَقٌّ من جَبَيْتُ الشَّيْءَ إذا خَلَّصْتَهُ لنفسك، ومنه: جَبَيْت الماءَ في الحوض، قال الأَزهريُّ: وجِبايةُ الخَراجِ جَمْعُه وتَحصيلُهُ مأْخوذٌ من هذا**"؛ وأحبُّ أن أشيرَ ها هنا إلى أَمْرٍ يَغْفَلُ عنه كثيرٌ من النّاس، وهو أنّ ما يُسَمّى باللّغة الآراميّة، وكذلك ما يُسمّى باللّغة الفينيقيّة أو الكنعانيّة أو الأُوغاريتيّة وأمثالها، إنّما هيَ مراحِلُ من المراحِل الّتي مرَّت بها اللّغة العربيّةُ قبلَ أن تَصِلَ إلى ما يُعْرَفُ بالعربيّة الفُصحى، وأنّه لم يكن أحدٌ من العرَب يتكلّم بالفُصحى في الأزمنةِ الّتي كانت تَسُودُ فيها تلك اللُّغات، بل كانوا يتكلَّمونَ بها، لأنَّ الفُصحى إنّما نَضِجَتْ بعدَ أن مَرَّتْ بتلكَ المراحل اللغويّة.

إذاً، فاسمُ (الجابية) عربيٌّ أصيلٌ صِياغةً ومعنىً، وسبقَ للعرَبِ أنَّهم كانوا يلفِظُونَه (جابيثا) قبل أن تنضج عربيّتهم الفُصحى.

·الموقع:

وردَ ذِكْرُ (الجابية) في عدد من المصادر البلدانيّة (الجغرافيّة) العربيّة، فمن ذلك قَوْلُ ابن خُرداذبة: "**كُوَرُ دمشقَ وأقاليمُها: سهلُ الغوطة، وإقليم سَنير، ومدينة بعلَبَك، والبِقاع، وإقليم لُبنان، وكورة جونية، وكورة طرابلس، وكورة جُبيل، وكورة بيروت، وكورة صيدا، وكورة البَثْنِيّة، وكورة حَوران، وكورة الجولان، وظاهر البلقاء، وجبل الغَور، وكورة مآب، وكورة جبال، وكورة الشراة، وكورة بُصرى، وكورة عمّان، و(الجابية).....**

الطريق من دمشق إلى طبريَّة: من (دمشق) إلى (الكسوة) اثنا عشر ميلاً، ثم إلى (جاسم) أربعة وعشرون ميلاً، قال حسان بن ثابت:

قد عفا (جاسـمٌ) إلـى (بَيـتِ رأسٍ) فـ(الجَوابي) فـ(حـارثُ الجـولانِ)

ثم إلى (أفيق) أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى (طبرية) مدينةِ الأُردُنِّ ستة أميال"

(المسالك والممالك: 77 – 78).

وقَولُ أَبي عُبَيْدٍ البَكْريّ: " **جابية: (فاعلةٌ) مِنْ (جَبَى)؛ موضعٌ بالشّام، وهو (جابية الملوك)، وبابُ الجابيةِ بدمشقَ معلومٌ** " (معجم ما استعجم: جابية).

وقولُ ياقوت بن عبد الله الحَمَويّ: " **الجابية: بكسر الباء وياء مخفَّفة، وأصله في اللّغة: الحَوْض الّذي يُجبى فيه الماء للإبل؛ قال الأعشى: (كجابيةِ الشّيخِ العِراقيِّ تَفْهَقُ)، فهو على ذا منقولٌ؛ وهي قريةٌ من أعمال (دمشق)، ثمّ من عَمَلِ (الجَيْدُورِ)، من ناحية الجَولانِ قُرْبَ (مَرْجِ الصُّفَّر) في شَماليِّ (حَوْران)، إذا وقف الإنسانُ في (الصَّنَمَيْنِ) واستقبل الشَّمالَ ظهرَت له، وتَظْهَرُ من (نَوى) أيضاً؛ وبالقرب منها تلٌّ يُسمَّى (تلَّ الجابية) فيه حيّاتٌ صغار نحوَ الشِّبْرِ عظيمةُ النِّكايةِ يُسَمُّونَها أُمَّ الصُّوَيْتِ، يَعْنُونَ أنَّها إذا نهشَتْ إنساناً صوَّتَ صوتاً صغيراً ثمَّ يموتُ لِوَقْتِه.**

وفي هذا الموضعِ خطَبَ عمرُ بنُ الخطّابِ رضيَ اللهُ عنه خُطْبَتَه المشهورةَ.

و(بابُ الجابية) بدمشقَ منسوبٌ إلى هذا الموضع.

ويُقالُ لها: (جابيةُ الجَولانِ) أيضاً؛ قال الجَوّاسُ بنُ القَعْطَلِ:

أَعَبْـدَ المَلِيـكِ! مـا شَـكَرْتَ بَلاءَنَـا فَكُلْ في رَخاءِ الأَمْنِ مـا أنـتَ آكِـلُ
بِجابيـةِ الجَـوْلانِ لَـولا ابـنُ بَحْـدَلٍ هَلَكْتَ وَلَـمْ يَنْطِـقْ لِقَوْمِـكَ قائِـلُ

.....

وقال حسانُ بنُ ثابتٍ الأنصاريُّ:

مَنَعْـنَا رسـولَ اللهِ إذ حَـلَّ وَسْـطَنا عَلى أَنْفِ راضٍ مِـنْ مَعَـدٍّ وراغِـمِ
مَنَعْـناهُ لَمّـا حَـلَّ بـينَ بيـوتِنا بِأَسْـيافِنا مِـنْ كُـلِّ بـاغٍ وظـالِمِ
بِـبَيْتٍ حَـرِيدٍ، عِـزُّهُ وثَـراؤُهُ بِجـابيةِ الْجَـولانِ بـينَ الأَعـاجِمِ
هَلِ المَجْدُ إلا السُّؤْدَدُ العَـوْدُ والنَّـدى وَجـاهُ المُلـوكِ واحْتِمـالُ العَظـائِمِ

ورُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنه أنّه قال: (أرواحُ المؤمنينَ بالجابيةِ مِنْ أرضِ الشَّامِ، وأرواحُ الكفَّارِ في بَرَهُوتَ مِن أرضِ حَضْرَمَوْت)" (معجم البلدان: الجابية).

وهذا النَّوَويُّ يحيى بنِ زكريّا - وهو من (نَوى) القريبةِ من الجابية - يقولُ في تعريف (الجَوْلان) وأتْبَعه بتعريف (الجابية): " **الجَوْلان، بفتح الجيم وإسكان الواو: كُورَةٌ معروفة، وهو إقليمٌ مُشتملٌ على نحو مِئتَيْ قرية، قاعدتُها بُلَيْدَتُنا (نَوى)، وهي طَرَفُهُ الشَّرقيّ، وبين (نَوى) و(دمشقَ) دُونَ مَرحلتَيْنِ، وطُولُ الجَوْلانِ أكثرُ من مَرحلة، وعَرْضُه نحوُ مَرحلةٍ، ولَهُ ذِكْرٌ كثيرٌ في المَغازِي وأشعارِ العَرَبِ، وهوَ الّذي قال فيه النّابغةُ:**

بَكَى (حارِثُ الجَوْلانِ) مِنْ فَقْدِ رَبِّهِ و(حَوْرانُ) مِنْهُ مُوحِشٌ مُتَضائِلُ

وهو الّذي عَنَاهُ حسّانُ بنُ ثابتٍ رضيَ اللهُ تعالى عنهُ بقولِه:

قَد عفا (جاسِمٌ) إلى (بَيْتِ رَأْسٍ) فـ(الجَوابِي) فـ(حارِثُ الجَوْلانِ)

قِيل: (حارِثٌ) جبَلٌ، وقِيل: رجلٌ بِعَيْنِه.

قال أبو الفتح الهَمَدانيُّ: مِثالُ الجَوْلانِ (فَعْلانٌ) بفتحِ الأوّلِ وإسكانِ الثّاني، وهو مُشتَقٌّ مِن (الجَوَلانِ) بفتحِهما، مِن: جالَ يَجُولُ، فالجولان بفتح الواوِ المصدَرُ، وبالإسكان الاسم، سُمِّيَ بذلك لاتِّساعِه؛ هذا كلامُ أبي الفتح، وكذا ذكرَ الحازميُّ في (المؤتلف): أنّ الجولانَ ساكنُ الواو، وهذا لا خلاف فيه.

جابية: وأمّا (الجابية) فقريةٌ معروفةٌ بجَنْبِ (نَوى) على ثلاثةِ أميالٍ منها مِن جانبِ الشَّمال، وإلى هذه القرية يُنْسَبُ (بابُ الجابيةِ) أحدُ أبوابِ دمشق.

قال أبو الفتح: سُمِّيَت (الجابيةُ) تشبيهاً بما يُجبى فيه الماء، فإنَّ الجابيةَ اسمٌ للحَوْضِ، فسُمِّيَت جابيةً لكثرةِ مياهِها، قال: والجابيةُ أيضًا: جماعةُ القَوْمِ،

فيجوزُ أن تكونَ سُمِّيَت بذلكَ لاجتماعِ النّاس بها وكثرتِهم فيها لكَوْنِها أرضَ خِصْبٍ وخَيْرٍ" (تهذيب الأسماء واللّغات 2/1: 60).

نُبَذ من التاريخ:

أشار بعضُ الأقوال السّابقة إلى شيءٍ من الحوادث التّاريخيّة الّتي شهدَتْها (الجابية)، وفي عدد من المصادر التّاريخية الجامعةِ، كتاريخ الطبريّ وتاريخ دمشق لابن عساكر والكامل في التاريخ لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير، تفصيلٌ أوسَعُ لتلك الحوادث، يستطيع الباحثُ أن يجمَعَ منها ومِن المصادر والمراجع الأُخرى مادّةً وافرة.

فممّا شَهِدَته من الحوادثِ أنّها كانت مِن منازِلِ (غسّانَ) في الجاهليّة، وفيها كان يُقيم جبلة بن الحارث الأعرج الغسّانيّ أحدُ ملوكهم جدُّ جَبَلَةَ بنِ الأيهم آخرِ ملوكهم، وسَطِيحٌ الذِّئبيّ الغسّانيّ أحدُ حُكمائهم وكهّانهم، ولكن ينبَغي أن يُعْلَمَ أنّ الغساسنةَ كانوا آخرَ من أقامَ في الشّامِ عامّةً مِن العَرَب، وقد سبقتهم أقوامٌ عربيّةٌ أقدَمُ منهم، فقد أقام العرب الكنعانيّون الفينيقيّون في الشامِ عامّةً ولا سيّما في سواحلِه في القرن الثالث قبل الميلاد، ثمّ أقام العرب الآراميّون في الألف الثاني قبل الميلاد، ثمّ العربُ اليَطُوريّون (العَيْطُوريّون = الأيطوريّون) من ذرّيّة يَطُور (عَيْطُور = أَيْطُور) بنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ هاجروا إلى الشّام قبلَ ستّةِ قرونٍ من ميلادِ عيسى عليه السّلام، فأقاموا في الشّمال الشّرقيِّ لفلسطين، ثمّ استَقَرُّوا في بِقاعِ لبنانَ وَجَنُوبيّه وما يُجاورُهُ من بلاد الشّام، وكانت عاصمتُهم عَنْجَر (مَجْدَل عَنْجَر)، وبَنَوْا عاصمتَهم الدِّينيّة (بعلبك)، وامتدّ سلطانُهم إلى وادي بَرَدَى ودِمَشْقَ وغُوطَتِها وحَوْرَانَ وحِمْصَ، فلمّا غزا الرُّوم بلادَ الشّام قاومُوهم أشدّ المُقاومة، ولم تَزَلْ سلطتُهُم تتقلّصُ إلى أن زالَ ذكرُهم معَ نهايةِ القرن الأوّل الميلاديّ، وكذلك مملكةُ العرب الأَنْبَاطِ الّتي نشأَتْ في القرن السّادس قبلَ الميلاد في جنوبيِّ بلاد الشّام ، واتّخذت (البَتْراءَ) عاصمةً لها بعد تَيْماء، وامتدّ سلطانها إلى دِمَشْقَ وشَماليّ الحِجاز، وانتهت باستيلاءِ الرُّومِ عليها في

بداية القرن الثّاني الميلاديّ، ثمّ كان (السّليحيّون = الضَّجاعمة) من قبلِهم، فإنّ السّلِيحيّينَ – وهم من قبائلِ قُضاعةَ - كانوا ملوكَ عرَبِ الشّامِ قبلَ أن يَغْلِبَهم الغساسنةُ ويستَوْلُوا على المُلكِ مِنْهم، فهؤلاء الأقوام من العربِ جميعاً كانت (الجابية) من أراضيهم (يُنْظَر:الأنساب- للصُّحاريّ، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام - لجواد علي، والأعلام- للزِركلي، وتاريخ دولة الأنباط -لإحسان عبّاس، وملامح في فقه اللّهجات العربيّات -لمحمّد بهجة قبيسي، وتاريخ الغساسنة -لسالم عيسى، وكنيسة العرب المنسيّة -لتيسير خلف، وبحث على شبكة المعلومات بعنوان: عن العرب وحضارتهم وامتداداتهم قبل الإسلام: تصحيح مفاهيم ونسف أوهام وأمانيّ، بقلم: حسام طوقان، وغير ذلك)؛ وفي أثناء إقامة العرب فيها غزاها الطّامعون المكدونيّون (الإسكندر وخلفاؤه) والعبرانيّون والفرس والرّوم، ولكنّهم جميعاً زالوا وبقيَتْ عربيّة أرضاً وسكّاناً.

وكان الرُّومُ آخرَ غُزاتها قبل الإسلام، فلمّا شعّ نُورُه قَدِمَت جيوش العرب المسلمين لتنظّفَ أرضَ الشام من الغُزاة، فلمّا وصل الأمراء الّذين أرسلهم أبو بكرٍ الصِّدِّيق في السنة الثّالثةَ عَشْرَةَ للهجرة إلى الشّام نزل أبو عبيدة عامر بن الجرّاح (الجابية)، ونزل يزيد بن أبي سُفيانَ البَلقاءَ، ونزل شُرَحبيلُ بنُ حَسَنةَ الأردنَّ، وقِيل بُصْرى، ونزل عمرُو بن العاصِ العَرَبَة من أرض فلسطين، ثمّ كان اجتماعُهم في (الجابية)، ثمَّ قَدِمَ خالدُ بنُ الوليدِ، وكانت وَقعةُ اليَرموك الّتي قصمَت ظهر الرّوم في السنة الخمسة عَشْرةَ للهِجرة في خِلافة عُمَرَ بنِ الخطّاب، بعدَ عامَيْنِ من مجاهدة العدوّ (انظر تفصيل ذلك في: تاريخ الطبريّ، والكامل في التاريخ، وغيرهما من التواريخ الجامعة).

وفي صَفَر سنة ستَّ عَشْرةَ قَدِمَ عمر إلى الجابية فأقام بها عشرين ليلة، بعدما حضَرَ فتحَ بيت المقدس، وقسم الغنائم بالجابية، وخطب فيها خطبةً مشهورةً في كتب

التاريخ والمسانيد (يُنظَر الطبقات الكبرى- لابن سَعْد، وتاريخ الطبريّ، والكامل في التاريخ، ومُسنَد أحمد بن حنبل، وغيرها).

وفي ذي القعدة من سنة أربع وستّينَ للهجرة اجتمع بنو أميّة ومَن معهم في (الجابية)، واتّفقوا على مبايعة مروانَ بنَ الحَكَم بعد وفاةِ معاوية بنِ يزيدَ (يُنْظَر: الطبقات الكبرى، وتاريخ خليفة بن خيّاط، وتاريخ الطبريّ، وغيرها، في حوادث سنة ست وأربعين).

ولمّا استقرّت الأمور واجتمعت الخلافة لعبد الملك بن مروان كانت (الجابية) من البلاد التي يقيم فيها إذا انسلخ الشّتاء، فإذا مضت أيام من آذار دخل دمشق (ينظَر: أنساب الأشراف- للبلاذريّ) وذلك لِطِيبِ هوائها وخِصبِ أراضيها.

في الأدب:

حين يذكر الأديب اسمَ مكانٍ ما لا يكون ذِكْرُه كما يفعل العالِم بالبُلدان (الجغرافيّ)، بل يُحَمِّلُ ذلك الاسمَ كلّ ما في ذلك المكان من تاريخٍ وعاطفة، فيكون الاسمُ تكثيفاً لفظيّاً لكلِّ ما عَرَفَه ذلك المكان من حوادثَ وأُناسٍ وعلاقاتٍ وعواطف، وهذا ما أراده الشّعراءُ حينَ كانوا يعَدّدون أسماء ديار الأحبّة في مقدّمات قصائدهم؛ وقد ورد ذِكرُ (الجابية) في عدد من قصائد الشّعراء العرب في الجاهليّة والإسلام، وجاء ذِكْرُها مُضَمَّناً في قصائدَ مدحوا فيها أو رَثَوْا بعضَ ملوك الغساسنة وإن لمْ يُصَرِّحوا بلفظ (الجابية)، ولا ريبَ في أنّها ذُكِرَت في أشعارٍ كثيرةٍ قبلَ عصر الغساسنة، ولكنّها ضاعتْ كما ضاع كثير من الشّعر الجاهليّ لتَقادُمِ العَهْدِ ولأنّ العربَ لم تحفظ من شِعرِ الجاهليّةِ إلاّ ما كانَ قَريبَ عَهْدٍ من الإسلام، كما قال المؤرِّخُ هشام بن محمَّد الكَلْبيّ في كتابه (الأصنام:12)؛ وإنّما يُذْكَرُ هُنا ما جاءَ ذِكْرُها فيه مُصرّحاً بِه، بغيرِ تعليقٍ ولا شَرْحٍ، لكيلا يطولَ الكلام، وفي المصادرِ والدّواوينِ غُنْيَةٌ لِمَن أرادَ

ذلك.

فمن ذلك قولُ حسّانَ بنِ ثابتٍ في الجاهليّة في مَدْحِ بَني جَفنَةَ الغسّانيّين وتمجيدهم:

أَسألْتَ رسْـمَ الـدّارِ أمْ لـم تَـسـألِ ... بينَ (الجَوابي) فـ(البَصيعِ) فـ(حَومَلِ)
فالمرجِ (مرجِ الصُّفَّرينَ) فـ(جاسـمٍ) ... فـديارِ (تُبْـنَى) دُرَّسـاً لَم تُحْـلَلِ
دارٌ لِقَـومٍ قـد أَراهُـمْ مَـرّةً ... فـوقَ الأعِـزَّةِ عِـزُّهُـمْ لَم يُنْقَـلِ
للهِ دَرُّ عِـصـابةٍ نـادمْـتُهـمْ ... يَـوْماً بِـ(جِـلِّقَ) في الزَّمـانِ الأوَّلِ
أَولادُ جَفْنَةَ عنـدَ قَـبْرِ أَبِيهِـمُ ... قَـبْرِ ابنِ مـارِيَةَ الكَريـمِ المُفْضَـلِ
يَسْقُونَ مَن وردَ (البَـريصَ) علـيهِمُ ... بَرَدى يُصَـفَّقُ بالرَّحِـيقِ السَّـلْـسَلِ
بيضُ الوُجُـوهِ كريمـةٌ أَحْـسَـابُهُمْ ... شُـمُّ الأُنـوفِ مِـنَ الطِّـرازِ الأوَّلِ

وأرادَ بـ(الجوابي) جابيَة الجولانِ وما يحيطُ بها .

وقال حسان بن ثابت يذكر ديار غسّان ومكانتَه عندهم:

لِمَـنِ الدّارُ أَقْـفَرَتْ بِـ(مَـعَانِ) ... بينَ أَعْـلَى (اليَرْمُـوكِ) فـ(الخِـمَّانِ)
فـ(القُرَيّاتُ) مِن (بَلاسَ) فـ(دارَيْـ... ...ـيَا) فـ(سكّاءَ) فـ(القُصورِ الـدَّوانِي)
قد عفـا (جاسـمٌ) إلـى (بَيـتِ رأسٍ) ... فـ(الجَـوابي) فـ(حـارثُ الجـولانِ)
فـقَفَا (جاسمٍ) فأَفْـنِيَةِ (الـصُّـفْـ... ...ـفَـرِ) مَغْـنَى قَـبائلٍ مِن يَمـانِ
فَبِـ(صِـفِّينَ) قَـد أزالَ خُـلَيْدٌ ... فـ(أَفِـيقٍ) فجـانِبَيْ (حَـوْرانِ)
تلكَ دارُ الأَنِيـسِ بَعْـدَ عَـزيزٍ ... وحُـلولٍ عَظِـيمَةِ الأَرْكـانِ
هَبِلَتْ أُمُّهُـمْ وقـد هَبِلَتْهُـمْ ... يَـوْمَ راحُـوا لِـ(حـارثِ الْجَوْلانِ)
إذ دَنا الفِصْـحُ فالولائدُ يَنْظِـمْـ... ...ـنَ قُـعُوداً أَكِـلَّةَ المَرْجَـانِ
لم يَعَـلَّلْنَ بالمَغَـافِـيرِ وبالصَّـمْـ..... ...ـغِ ولا نَقْـفِ حَنْـظَلِ الـشَّـرْيَانِ

ذاكَ مَغْنَى مِنْ آلِ جَـفْنَةَ في الدَّهْـ .....ـرِ ، وحَـــقٌّ تَصَـــرُّف الأَزْمَـانِ
قَـد أُرانِي هُنَـــاكَ حَـــقَّ مَكِـينٍ عنـدَ ذي التّـاجِ مَقْعَـدِي ومَكانِي

وقال أيضاً من قصيدةٍ قالها بَعدَ وَقْعَةِ أُحُد، يفتخر بخاله وأبيه ونَفْسِه:

إنّ خـالي خطيبُ جـابيةِ الجـو ... ..لانِ عنـدَ النُّعمـانِ حـينَ يقُـومُ
وَأبي في سُـميحةَ القـائلُ الفصـ ... ..صلُ يومَ التقـتْ علـيهِ الخـصومُ
وأنا الصَّـقرُ عندَ بـابِ ابـنِ سَـلمى يومَ نعـمانُ فـي الكُبُـولِ مقـيمُ

والنّعمان الّذي نسبَه إلى أُمِّه سَلمى هو النُعمَانُ بن الحَـارِثَ بـن أبـي شـمر الغَسَّاني؛ وقيل:بل هو النُعمَانُ بن المنذر اللَّخْمِيّ ملك الحِيرة؛ بحَسَبِ مـا قـال ابـن الكلبيّ في (نسب مَعَدّ واليمن الكبير).

وحينَ قَدِمَ وَفْدُ بني تَميمٍ على رسول الله وافتَخَر شاعِرُهم عطارد بن حاجب الدّارميّ التّميميّ فقال:

أتينـاكَ كيمـا يَعلـمَ النّـاسُ فـضْلَنَا إذا اجتمعوا وقتَ احتـضارِ المَوَاسِـم
بأنّا فُروعُ النّـاسِ فـي كـلِّ مـوطنٍ وأنْ ليسَ فـي أرض الحجـازِ كَـدَارِمِ

فقال حسان بن ثابت:

مَنَعْـنَا رسـولَ اللهِ إذ حَـلَّ وَسْـطَنا عَلى أَنْفِ راضٍ مِـنْ مَعَـدٍّ وراغِـمِ
مَنَعْـناهُ لَمّـا حَـلَّ بـينَ بيـوتنا بِأَسْـيافِنا مِـنْ كُـلِّ بـاغٍ وظـالِمِ
بِـبَيْتٍ حَـرِيدٍ، عِـزُّهُ وثَـراؤُهُ بِجـابيةِ الْجَـولانِ بـينَ الأَعـاجِمِ
هَلِ المَجْدُ إلا السُّؤْدَدُ العَـوْدُ والنَّـدى وَجـاهُ المُلـوكِ واحْتِمـالُ العَظـائِمِ

وقال جَوّاسُ بنُ القَعْطَلِ الكلبِيُّ يَمُنُّ على عبد الملكِ بْنِ مَرْوان ويُعاتبُه عتاباً عنيفاً:

أعَــبدَ المَليكِ ما شَـــكَرْتَ بَـــلاءَنا فَكُلْ في رَخاءِ الأَمْنِ مــا أنــتَ آكِــلُ
بــ(جابِيةِ الجولان) لولا ابــنُ بَحْــدَلٍ هَلَكْتَ ولَــمْ ينطِـــقْ لقومِــكَ قائِــلُ
وكنْتَ إذا أشْــرفْتَ فــي رأسِ رامــةٍ تضــاءَلْتَ إنَّ الخـــائفَ المُتَــضائِلُ
فلمّا عــلَوْتَ الشّامَ فــي رأسِ بــاذِخٍ مِن العِــزِّ لا يَــسْــطيعُهُ المُـــتناوِلُ
نَفَحْتَ لنا سَــجْلَ العَـــداوةِ مُعْرِضــاً كأنّكَ عَــمّا يُحـــدِثُ الدَّهرُ غافِــلُ
فلو طاوَعُوني يومَ (بُطنــانَ) أُسْــلِمَتْ لِقَــيْسٍ فُـــروجٌ منكُـــمُ ومَقاتِــلُ

وقال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهِلالِيُّ من قصيدةٍ مَدَحَ فيها الوليدَ بنَ عبدِ الملِك بنِ مَروان ورثى فيها عَبْدَ الملِك:

أَبْلِــغْ أَمَـــيرَ المُؤْمِنـــينَ فَإِنَّـــهُ فَطِنٌ يَلُـــومُ المُــسْتَليمَ ، وَيَعْـــذِرُ
إِنِّـــي كَبِــرْتُ، وَإِنَّ كُـــلَّ كَبِـــيرَةٍ مِمَّــا يُظَـــنُّ بِــهِ يَمَـــلُّ وَيَفْتُـــرُ
وَفَقَدْتُ شِـــرّاتي الّتــي أَوْدَى بِهَــا زَمَــنٌ يُطَــوِّحُ بالرِّجــالِ وأَعْــصُــرُ
أَنْتُــمْ بِـــ(جابِيَــةِ المُلــوكِ) وأَهْلُنَــا بِــالجَوْفِ جِيرَتُنَــا صُــداءُ وَحِمْيَــرُ

وجاء ذِكْرُ الجابية أيضاً في شعر الفرزدق وعديّ بن الرّقاع العامليّ، ولكنْ فيما سبق مُلْحَةٌ شِعريّةٌ تُغني.

وبعد، إنّ الحديث يطولُ على مَن أراد الكتابة عن (الجابية)، ولاسيّما إذا أراد التّوسُّعَ في ذكر حوادثها التّاريخية والتّعليق على الأشعار، ولكنّ المجال يضيقُ على كلماتٍ أُريد لها أن تكون تقديماً لهذا العددِ الّذي خصّصتْه مَجلّة جامعة دمشق لــ(الجولان) الحبيب، فدار الكلام على مَعلَمٍ له تاريخ يشهَدُ بأنّ الجَوْلانَ كان وسيبقى عربيّاً بأرضِهِ وإنسانِه وتاريخه.